الاستعداد للقاء الله

خطبة الشيخ العلامة /

عبد العزيز البرعي حفظه الله

كانت في ٢٥ جمادى الآخرة ١٤٣٨هـ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم {يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون}

{يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحده وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيراً ونساء واتقوا الله الذي تسألون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا} .

{يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديدا @ يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيما} .

أما بعد؛

فإن خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعه وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.

أيها المسلمون :

يقول الله جل وعلا في كتابه الكريم : { يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون @ ولا تكونوا كالذين نسو الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون @ لا يستوي أصحاب

النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون@ لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون } .

هذه الآيات الكريمات من مواعظ القرآن الكريم التي يعظنا الله عز وجل بها لعلنا نتذكر أو نخشى والله عز وجل ينفع من شاء من خلقه بمواعظه التي يعظ بها عباده وقد تكون المواعظ آيات شرعية وقد تكون آيات قدرية هذه الآيات ابتدأها الله عز وجل بنداء عباده المؤمنين قائلاً لهم : { يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله } فناداهم باسم الإيمان وأمرهم أن يعملوا بما يقتضيه إيمانهم فمن كان مؤمنا فالله يناديه هذا النداء تكلم به الله وانفتحت له السبع الطباق وسمعه جبريل وأرخاه على محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم وبلغه النبي صل الله عليه وعلى آله وسلم لصحابته الكرام رضي الله عنهم وبلغه الصحابة لمن بعدهم وتداوله المسلمون عصرا بعد عصر إلى يومنا هذا فهو نداء ذو شأن والنداء يشرف بشرف المنادي ، فالمنادي هو الله جل وعلا والمنادَون أنتم يا معشر المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الله عز وجل يأمرنا أن نعمل بما يقتضيه الإيمان .

فالمؤمن ماذا يفعل ؟

المؤمن يتقي الله والمؤمن ينظر ما قدم لغد والمؤمن لا يكون كالفاسقين إلى آخر ذلك { اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد} اتقوا الله أي اعملوا بطاعة الله واجتنبوا معصية الله فإن هذا هو حال المؤمن الصادق .

وتقوى الله عز وجل تعني فعل المأمور وترك المحظور فإذا عمل أحدنا بتقوى الله جل وعلا عمل بالطاعات وترك المعاصي سيوحد الله جل وعلا وسيبر والديه ويترك عقوقهما ويصل الأرحام ويترك قطيعتهما ويحسن إلى الجيران ويترك الإساءة إليهم لا يكون غشاشا ولا كذابا ولا مخادعا ولا يكون سارقا ولا زانية ولا خمارا إلى غير ذلك ؛ لأن تقوى الله تأبى هذه الأعمال وسيكون مؤديا للأمانة موفيا للوعد وموفيا للعهد وصولا للرحم صاحب أمانة بعيدا عن الكذب بعيدا عن الغل والحقد والضغينة وغير ذلك ؛ لأن تقوى الله عز وجل تدعوه إلى فعل الخيرات .

المتقي لله عز وجل سيكون ذاكرا لله تاليا للقرآن مؤديا للصلوات مؤديا النوافل ما أقدره الله جل وعلا سيكون متصدقا سيكون محسنا سيكون جوادا كريما بعيدا عن البخل ؛ لأن تقوى الله عز وجل تدعوه إلى ذلك ولو تتبعت المواضع التي ذكرت فيها التقوى في كتاب عز وجل لوجدت أدلة كافية واضحة تدل على ما ذكرناه ثم قال : { ولتنظر نفس ما قدمت لغد } أي : ماذا اعددنا ليوم القيامة ؟ وانظر كيف قربه كأن الدنيا كلها يوم واحد وأن الآخرة هي اليوم الذي بعد يومه { ولتنظر نفس ما قدمت لغد } ؛ لأن الحياة الدنيا وإن طالت فهي قصيرة ما عسى أن تكون الحياة الدنيا إذا أنت قارنتها بالحياة البرزخية ؛ والأخروية فإنما هي شيء يسير !

هي أيام ، هي ساعات ، هي سنوات ، سرعان ما تنقضي ، وسرعان ما تنتهي ، فالعبرة بالاستعداد للقاء الله جل وعلا { ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما

توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد @ إذ يتلق المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد @ ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد} .

فأقوالك محسوبة عليك فالاستعداد للقاء الله فيها أن تحسن أقوالك وأن تكثر من الكلام الحسن مبتعدا عن الكلام السيء.

قال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم (طوبى لمن وجد في صحيفته استغفارا كثيرا) .

فأكثر من الاستغفار وأكثر من ذكر الله وتلاوة القرآن وغير ذلك من الأقوال الحسنه كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغير ذلك .

المقصود أن الاستعداد للقاء الله عز وجل يستطيعه كل عاقل أرشده الله عز وجل وهيئه الله وأبعده عن العجز والكسل فإنه ليس خافيا على ذي عقل ماذا يفعل للقاء الله جل وعلا ، والله عز وجل يقول : { إن سعيكم لشتى} ، ويقول { كل يعمل على شاكتله} فمن كان من أهل الصلاح والتقى فإنه يعمل أعمالا يستعد بها للقاء الله تليق به وبحاله .

صاحب التقوى الذي لديه الخوف والمراقبة لله جل وعلا يعمل الأعمال التي تليق بالمتقين ليس بعاص ، ليس بسارق ، ليس بقاتل ، ليس بكاذب ، ليس بمرابٍ ، ليس بخمار ، ليس بزانٍ ، ولكنه قائم بالصلوات الخمس مؤدٍ للأمانة وصولا للرحم إلى غير ذلك من الأعمال الصالحة التي أشرنا إلى بعضها وغيرها .

المقصود أنه إذا اتقى عز وجل أرشده عقله الصالح إلى كل خير كما أنه في المقابل تجد أقواما يعملون على شاكلتهم وعلى ما تمليه عليهم طباعهم السيئة البعيدة عن الخير فترشده طبيعته إلى كل معصية قولية أو معصية فعلية أو معصية اعتقادية بماله ، بنفسه ، بسمعه ، ببصره ، بيده ، برجله ، ببطنه ، بفرجه عقله السخيف وعقله المتبع لهواه يرشده إلى كل رذيلة ويقعده عن كل فضيلة فلهذا قال الله { كل يعمل على شاكلته} وقال { إن سعيكم لشتى } .

لهذا أيها المسلمون : الله عز وجل يأمرنا قائلا { يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد } .

أيها المسلمون : هذه الآية الكريمة تدعو المؤمن الصادق إلى أن يجعل الدار الآخرة موضع اهتمامه وعنايته وهذا مطلب رفيع يعرف قدره من زكى الله عقولهم ونفوسهم ويعرفه من هيأه الله للخير وفي آيات كثيرة ذكر اليوم الآخر والاستعداد لليوم الآخر وفي أحاديث كثيرة الحث على الإيمان باليوم الآخر كل هذا يرشد أولئك الطيبين المؤمنين الفضلاء إلى أن يكون اليوم الآخر موضع عنايتهم واهتمامهم إن كثيرا من الناس غفلوا عن هذا المعنى مع أنهم يعلمون أنهم سينتقلون من هذه الدار إلى الدار الآخرة مجرد العلم بذلك لا يكفي فقد علمه إبليس حيث قال { ربي أنظرني إلى يوم يبعثون } فهو يعلم أن الناس سيبعثون لكن ما انتفع بهذا العلم حيث أنه لم يعمل بمقتضاه !

كثير من الناس مع علمه أنه سيموت ويبعث ولكنه لم يجعل اليوم الآخر موضع عنايته واهتمامه إما أن يكون بحب الشرف والزعامة فهو يحب أن

يكون رفيعا في المجتمع ولو على معصية الله مع الغفلة عن اليوم الآخر ومع عدم الاستعداد لليوم الآخر !

كيف يترقى ؟كيف يكون رفيعا ؟ كيف يضع فلانا الذي هو أعلى منه ؟ كيف يسعى إلى أن يكون فلان أنزل منه ؟ كيف وكيف ؟ أشغله حب الزعامة عن اليوم الآخر !

كم من الناس من هو مشغول بحب المال حتى غفل عن اليوم الآخر فكل حياته وسعيه في ليله ونهاره في تنمية تجارته مقرون ذلك بالغفلة عن اليوم الآخر ، أما أنه يعمل في الدنيا بما أحل الله له ويعمل للآخرة بما أقدره الله عليه من الاستعداد بالأعمال الصالحة فذاك لا شيء فيه .

وهكذا معشر المسلمين : تجد من الناس من هو مشغول بالتزلف إلى من يحبهم إلى من هم أرفع منه يريد أن يكون له مكانة لديهم فهو مشغول بالتقرب إليهم لا إلى الله ومستعد أن يقع في المعاصي تقربا إليهم ومستعد أن يقع في الإثم والذنب كبر أو صغر وهو يتزلف إلى فلان أو إلى فلان غافلا عن التقرب إلى الله والاستعداد للقاء الله تبارك وتعالى .

وهكذا معشر المسلمين : كم من الناس من هو مشغول بشهواته وملذاته في المنظورات والمسموعات لربما تراه كل يومه وليله مشغول بالدش والتلفاز وبوسائل التواصل الاجتماعي مشغول هنا وهناك غافلا عما يقربه إلى الله وغافلا عن الاستعداد للقاء جل وعلا .

لهذا كان هذا المعنى كبيرا وهو قوله { ولتنظر نفس ما قدمت لغد } مقروناً ذلك بفهم الآيتين { إن سعيكم لشتى } وقوله { كل يعمل على شاكلته } لفهم أن الاستعداد للقاء الله وأن النظر فيما عملت لغد أمر يقلب نظام حياة قوم بكاملها لو أنه أعاد النظر في معنى الآية ربما رأى أنه في حاجة إلى أن يقلب نظام حياته وأن نظامه في حياته غير مستقيم ولا بد من إعادة النظر فيه .

فيا عبد الله هدئ نفسك وفكر جيدا وانفرد حال التفكير لو أردت أن تنظر إلى هذا المعنى مع أصدقائك ما استطعت ؛ لأن الإنسان يجامل أصدقاءه وربما شوش عليه أصدقاؤه فلا يستطيع التفكير ؛ ولهذا قال الله عز وجل لأهل مكة { قل إنما أعظكم بواحده أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة } يقول اختر لك صديقاً عاقلا ، اجلس معه ، وفكر معه ، أو مع نفسك ، ثم انظروا بإمعان هل محمد مجنون (ما بصاحبكم من جنة) فلو جلس أحدهم مع نفسه أو مع صديقه يفكر هل محمد مجنون فقال : يا فلان ألسنا نعرف محمدا قبل أن يدعي أنه نبي ألم يكن من أنبل شبان قريش وأعقلهم وأنظفهم بدنا وملبسا وأحسنهم منطقا هل تغير من حاله شيء بعد ذلك فكيف نتهمه بالجنون وهو على الحالة التي كان عليها قبل أن يدعي ما قال. يا فلان : هل محمد يشبه مجنون بني فلان الذي يبول ويتغوط على نفسه هل محمد يشبه مجنون بني فلان الذي يرجم المارة بالحجارة هل محمد يشبه مجنون بني فلان الذي يتمرغ في الرماد والأوساخ لو أنهم جلسوا وفكروا لأوصلهم تفكيرهم إلى أن محمدا ليس بمجنون !!

لكن يجلسون في دار الندوة فواحد يقول : محمد صابئ ، وآخر يقول : كذاب ، وآخر يقول : ساحر ، وآخر يقول : مجنون ؛ فما يستطيع أحد أن يبوح بما في نفسه أن محمداً ليس كذلك فيظل ساكتا لا يتميز لديه الحق !!

فهكذا نحن كذلك إذا جلس الإنسان بانفراده دون أصدقائه الذين قد ألهوه وأبعدوه عن التفكير فيما يصلح نفسه لو جلس بانفراده سيكتشف ذنوبه ويكتشف تقصيره ويكتشف أخطاءه فمن السهل عليك أن تعاتب نفسك مع نفسك ومن الصعب أن تعاتب نفسك أمام الآخرين أسأل الله أن يغفر لي ولكم .

والحمد لله رب العالمين.

الحمد لله رب العالمين وأشهد الا اله الا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صل الله عليه وعلى آله وسلم ،،،

أما بعد؛

أيها المسلمون :

هذه الآية الكريمة أصل في محاسبة النفس ، ومحاسبة النفس محاسبتان مفصولتان بتوبة :

فالمحاسبة الأولى : اكتشاف الذنوب فتحاسب نفسك فتقول أنا تارك الواجب الفلاني وفاعل المعصية الفلانية ؛ فهذه المحاسبة الأولى ، اكتشاف الأخطاء ثم التوبة بفعل الواجب وترك المحرم .

ثم المحاسبة الثانية : هل أنت مستمر على التوبة أم غيرت وبدلت وهذا أمر تقضي فيه بقية عمرك ؛ لأنك بعد التوبة ترجو أن تكون في ازدياد لا في نقص وفي تقدم لا في تأخر ، وتعلم أنه لن ينفعك أبوك ولا أبناؤك ولا أمك ولا زوجتك ولا إخوانك إنما ينفعك عملك كما أنه لا ينفعك أصدقاؤك ولا تجارتك ولا منصبك ولا من تحبهم وتكرمهم ومن تتزلف إليهم لا ينفعك أحد إنما سينفعك عملك قال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم : (يتبع الميت ثلاث فيرجع اثنان ويبقى واحد يتبعه أهله وماله وعمله فيرجع أهله وماله ويبقى معه عمله) .

فالذي ستبقى معنا في قبورنا هي أعمالنا خيرًا أم شرًا والميت يأتي فيه قبره جليس على حسب عمله فإن كان عمله صالحا جاءه رجل حسن الصورة حسن الثياب طيب الريح فيقول له : من أنت فوجهك الوجه يجيء بالخير ؟

قال : أنا عملك الصالح ، وأنا جليسك حتى تقوم الساعة ، وإن كان على غير ذلك جاءه رجل كريه الثياب خبيث الصورة كريه الرائحة ؛ فيقول له : من أنت فوجهك الوجه يجيء بالشر ؟

فيقول : أنا عملك السيء ، وأنا جليسك حتى تقوم الساعة !!

فلهذا يا معشر المسلمين : نمهد لأنفسنا من الآن ونستعد من الآن فإن العمر ينقضي والأيام تمشي فماذا عملنا فيها { يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد } ثم قال مؤكدا { واتقوا الله } هذا تأكيد للأمر بالتقوى الذي كان في أول الآية ثم قال { إن الله خبير بما تعملون } أي : لا تخفى عليه أعمالكم ولا أقوالكم ولا خواطر قلوبكم ونفوسكم لا تخفون عليه سواء كنتم في شماريخ الجبال أو في بطون الأودية سواء أغلقتم على أنفسكم الباب أو تغطيتم بالثياب أو سترتم أنفسكم وراء الجبال لا يخفى على الله حالكم { سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار } الجميع على حد سواء قد علم الله الخفايا فالسر عنده علانية فلا تظن أنك تستتر عن نظر الله عز وجل .

كم من إنسان يختفي عن أنظار الصبيان وقد علم الله بحاله ورآه وسمعه أفَيكون نظر الله أحقر الأنظار إليه !!

(إن الله خبير بما تعملون) وهذا فيه إعلام بأن الله لا تخفى عليه خافية وفي نفس الوقت فهو تهديد ، أي : أن الله خبير بما تعملون وسيجازي كلا بعمله فهو تهديد لنا ، وهو تبشير لنا .

تبشير للمؤمنين ، وتهديد لمن كان يعمل معصية الله .

ثم قال جل وعلا : { ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم } ينهانا الله عز وجل أن نكون من أهل الغفلة الذين هم أشبه بالبهائم ، بل بعضهم أضل من البهائم الذين نسوا الله سواء كانوا أحياء أو أمواتا .

لقد نسي قوم نوح ربهم ، ونسي قوم هود ربهم ، ونسي قوم صالح ربهم ، ونسي فرعون ربه إلى غير ذلك فكيف كانت عاقبة أمرهم ؟

كانت عاقبة أمرهم أن أهلكهم الله ، والعياذ بالله .

وهكذا معشر المسلمين كل عاص كبر ذنبه أو صغر فعنده جزء من نسيان الله جل وعلا ؟

قد يقول قائل : إنهم ما نسوا الله فهم يعلمون أن الله موجود ويسمعون الأذان من المآذن فما المراد؟

المراد أنهم عاملوا الله معاملة المنسي ، لم يبالوا بأوامره ولا بنواهيه ولا بسمعه وبصره ولا بقوته وبطشه واستمروا على شهواتهم ، وملذاتهم غير مبالين باطلاع الله عليهم ، وقدرته عليهم !!

فبماذا عاقبهم الله ؟

عاقبهم الله بأن أنساهم أنفسهم ، والجزاء من جنس العمل !

قد يقول قائل : ما نسوا أنفسهم ألا ترى عنايتهم بطعامهم وشرابهم وقصورهم وملابسهم ومراكبهم وأزواجهم معتنون بأنفسهم ؛ فما نسوا أنفسهم ؟

المراد أنهم عاملوا أنفسهم معاملة المنسي ؛ لأنهم لم يبذلوا جهدا في إبعاد أنفسهم عما يغضب الله ولا بذلوا جهدا في دفع أنفسهم إلى طاعة الله ، أبقوا أنفسهم كأنها ممرغة بالتراب ، ولهذا قال الله عز وجل : { قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها } .

شبه النفس المنسية بالشيء المدسوس في التراب ، وقال الله هذا بعد أقسام عدة { والشمس وضحاها @ والقمر اذا تلاها @ والنهار إذا جلاها @ والليل إذا يغشاها @ والسماء وما بناها @ والأرض وما طحاها @ ونفس وما سواها @ فألهما فجورها وتقواها @ قد أفلح من زكاها @ وقد خاب من دساها } .

أقسم الله على ذلك بأنهم إذا دسوا أنفسهم ولم يزكوها أنهم خائبون ، وهؤلاء هم الذين نسوا أنفسهم .

إذا كان الإنسان يقع في الغيبة والنميمة وشهادة الزور فقد دس نفسه .

إذا كان يقع في الخمر والزنا والفواحش فقد دس نفسه .

إذا كان يقع في عقوق الوالدين وقطيعة الرحم وسوء الجوار فقد دس نفسه .

وكل هؤلاء ، ومن شابههم قد نسوا أنفسهم !!

لو أنه ما نسي نفسه لجعل نفسه طاهرة زكية بعيدة عما يغضب الله يتعهد نفسه في كل حين أنها قائمة على طاعة الله .

{ ولا تكونوا كالذين نسو الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون } أولئك هم الخارجون عن طاعة عز وجل ثم لفت أنظارهم إلى أن الذين اتقوا الله واستعدوا للقاء الله جزاؤهم الجنة.

فقال : { لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون } .

ثم أرشدهم إلى أنهم إذا أرادوا أن يستعدوا للقاء الله ، وأن لا يكونوا كالذين نسو الله فإن القرآن مرشد لهم إلى ذلك فقال : { لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله } يعني : أن القرآن لو نزل على الجبال لخشعت الجبال ، وتدكدكت .

فكم من قلوب هي أشد صلابة من الجبال ، والعياذ بالله .

قال الله عز وجل عن اليهود : { ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة } .

فالجبل لو نزل عليه القرآن لاندك خشية من الله عز وجل .

{ وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون } يتفكرون في أشياء كثيرة ، ومنها : كيف كانت القلوب أصلب من الحجارة ، نعوذ بالله من الضلال .

أسأل الله عز وجل أن يهيئنا وإياكم للصالحات وأن يبعدنا وإياكم عن المحرمات اللّٰهُمَّ أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك .

ووفقنا لما تحب وترضى .

اللّٰهُمَّ حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان واجعلنا من الراشدين .

اللّٰهُمَّ انصر دينك وكتابك وسنة نبيك وعبادك المؤمنين .

اللّٰهُمَّ أعز الإسلام والمسلمين وأذل الشرك والمشركين واخذل أعداء الدين .

اللّٰهُمَّ أحيينا على التوحيد والسنة وأمتنا على التوحيد والسنة .

اللّٰهُمَّ إنا نعوذ بك من الفتن ما ظهر منها وما بطن .

اللّٰهُمَّ أفرج عنا مانحن فيه عاجلاً غير آجل على الوجه الذي يرضيك .

والحمد لله رب العالمين .